ظاهـــرة تخريب الآثار في الجبل الغربي المسببات والمعالجات (آثـــار مدينة الرياينـــة أنموذجا)

د. الزروق سالم عون ـ كلية التربية الرياينة.. جامعة الزنتان

المقدمة:

"من المتناقضات التي يلمسها الجميع أن العالم العربي من أغنى بقاع العالم – إن لم يكن أغناها – من حيث ثروته الأثرية ومع ذلك فإن أهل المنطقة أقل الناس وعيا بقيمة هذا السجل الحضاري الضخم "[1].

إن هذه العبارات افتتح بها الفخراني كتابه (الرائد في فن التنقيب على الآثار) بحيث لاحظ أن أغلب الناس أقل وعياً بقيمة السجل الحضاري للآثار، وهذا ما لاحظته أثناء زياراتي إلى المواقع الأثرية بمدينة الرياينة وسرعة التخريب والعبث بها لدرجة الاعتقاد الراسخ أن أي موقع أثري في قطعة أرض لأحد العائلات تعتبره ملكاً لها، وتفعل به ما تشاء، وخاصة بفعل الآلات الحديثة وقدرتها على المسح والتدمير[2]، حتى أصبح هذا التخريب ظاهرة مشاهدة واضحة يمكن ملاحظتها بسهولة ومن خلال زيارة بسيطة لهذه الآثار سرعان ما تشاهد العبث الموجود بها سواء بكتابة الأسماء أو الخطوط أو التخريب المتعمد لمكوناتها أو والتضييق عليها بحجج ملكية الأراضي التي توجد بها.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

إن المستوطنات البشرية وما احتوته من آثار، ورفات موتى، تعتبر مادة أساسية لمعرفة الماضي؛ لأن الزمن هو سر الحياة التي كانت تدب على سطح الأرض في فترات سحيقة من القدم، لذلك تعددت مظاهر هذه الحياة الإنسانية من خلال ما نجده على سطحها، أو في طيات تربتها من أواني فخارية، أو فؤوس حجرية، أو خطوط كتابات متنوعة على الصخور، أو المواد الأخرى، وأكبر دليل على ذلك الشواهد الأثرية التي لا تزال تقاوم عوادي البيئة وتغيراتها، والعابثين بجهلهم وعصبيتهم.

إنَّ منطقة الجبل بصفة عامة والرياينة بصفة خاصة لم تدرس من الناحية الأثرية، ربما لقلة المهتمين، أو عدم وجود مراكز بحثية داعمة، مما جعل هناك إهمال، وعدم اهتمام بهذه الشواهد الأثرية، فأسهم ذلك في تخريب هذه الآثار دون الاكتراث بأهميتها مثل: اتجاه الكثير من الأهالي إلى البحث عن الكنوز المخبأة تحت الأرض، وهدم

الشواهد التي فوقها، وكذلك الاتجاه المرتبط بالتيارات الدينية التي تنظر إلى الشواهد الأثرية؛ بأنها عبارة عن أصنام، وكل من يحاول ترميمها، وحمايتها، ينعت بالعديد من الصفات: أقلها عبادة الأصنام، أو عبادة الحجارة، أو المحافظة عن الشركيات، وغيرها من الألقاب التي تجعل المهتمين بها يحجمون عن المحافظة عليها، وهو ما دعا الباحث بتسليط الضوء عليه، ودق جرس الإنذار، لما يتعرض له هذا التراث الإنساني الأثري من محاولات التخريب والطمس[3]، حتى أصبحت ظاهرة واضحة للعيان، ولذا هذه الورقة البحثية تحاول الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1- ما مظاهر وأنواع التخريب بآثار مدينة الرياينة؟

2- ما المسببات التي أدت إلى تخريب الآثار بمدينة الرياينة؟

3- ما المعالجات الممكنة للحفاظ على ما تبقى من الآثار بمدينة الرياينة؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التعرف على:

1- مظاهر وأنواع التخريب التي تعرضت لها أثار مدينة الرياينة.

2- المسببات الكامنة وراء تخريب الآثار بمدينة الرياينة.

3- المعالجات الممكنة للحفاظ على ما تبقى من آثار مدينة الرياينة لتستفيد منها الأجيال القادمة.

أهمية البحث:

تعود أهمية البحث إلى:

1- تسجيل واقع لما حدث من تخريب لأثار مدينة الرياينة خلال العقود الأخيرة بحيث يتم مقارنتها مع ما كانت عليه في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين.

2- إسقاط ما حدث لأثار مدينة الرياينة مع آثار بقية مدن الجبل الغربي، من حيث أنواع التخريب والهدم بها جميعا.

3- توعية المهتمين على مستوى المواطنين أو المسؤولين المحليين أو على مستوى الدولة الليبية والمراكز البحثية المتنوعة بالاهتمام بمناطق الجبل الغربي نظراً لقلة الدراسات والأبحاث بها.

حدود البحث:

1-الحدود الموضوعية: ظاهرة تخريب الآثار بالجبل الغربي المسببات والمعالجات.

2-الحدود المكانية: آثار مدينة الرياينة أنموذجاً.

2- الحدود الزمنية: يشمل هذا البحث الفترة الزمنية الممتدة من عام 2000- 2024م

مصطلحات البحث:

أ- الظاهرة: اصطلاحاً هي" عرض أو انحراف غير عادي بين الوضع المألوف زيادة أو نقصان، وهي نتيجة أو سبب لمشكلة أدت لحدوثها، فهي أما بالزيادة حتى أصبحت ظاهرة أو بالنقص حتى أصبحت خلالاً"[4]

أما إجرائيا: يستخدم الباحث مصطلح الظاهرة؛ لأن آثار الرياينة تكاد تدمر وتطمس ولذلك مشاهد هذا التخريب واضحة جلية حتى أصبحت الزيارة إلى الآثار بدل الاستمتاع بها وبعبق التاريخ يشد الانتباه لكثرة التخريب فهي ظاهرة واضحة للجميع.

ب- تخريب: اصطلاحا: فقد أورد معجم oxford أن التخريب: إحداث خراب، قضاء على معالم العمران "[5].

إجرائيا: يذهب الباحث إلى أن التخريب هو تحطيم كل أو أجزاء من الموقع الأثري مما يغير من ملامحه سواء بنقل الصخور أو بطمس الخطوط والرسومات أو بكتابة أسماء أشخاص أو تواريخ على جدران المبنى الأثري.

ج- الآثار: اصطلاحا: أشارت اليونسكو إلى تعريف للآثار التاريخية بأنها" أصول ثابتة تعتبر معالم ذات مغزى تاريخي أو وطني أو إقليمي أو محلي أو ديني أو رمزي، وهي في العادة مفتوحة للجمهور ويتم تقاضي رسم دخول إليها والى جوارها"[6].

إجرائيا: يرى الباحث بأن الآثار هي كل ما خلفته الأمم السابقة في منطقة الجبل الغربي عامة ومدينة الرياينة بصفة خاصة، من موروث حضاري مادي يتمثل في الأبنية والمقابر والنقوش والصهاريج الطرق والمسالك .

د- الجبل الغربي: اصطلاحا: هو المنطقة الجبلية التي تحيط بالشريط الساحلي الذي يمتد من الحدود التونسية إلى الخمس فهذه السلسلة الجبلية بطول حوالي (500) كيلو متر، وتتجه هذه السلسلة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي وتتفاوت سفوح الجبال من ارتفاعها وانحدارها وأعلى نقطة تقع بالقرب من غريان على ارتفاع أعلى من(880) متر ويلاحظ على هذا الجبل إن الانحدار يأخذ في القلة والتناقص في الغرب والشرق والجنوب بينما الانحدار في الشمال في أغلب الأجزاء انحدار شديد[7] ويسمى بأسماء محلية في كل منطقة مثل جبل نفوسة، جبل يفرن، جبل غريان، جبل ترهونة[8].

هـ المسببات: اصطلاحا: مهما اختلفت التعريفات وكثرت فهي تصب في معنىً واحد وهو "أن السبب هو الدافع الذي يدفع الإرادة إلى التصرف وتحقيق الأغراض المنشودة"[9].

إجرائيا: يري الباحث بأن المسببات هي تكلك الدوافع التي جعلت العابثين يقومون بتخريب الآثار في مدينة الرياينة مثل: ملكية الأراضي الموجودة بها ، أو العبث واللهو أو الجهل بأهمية هذه الآثار وغيرها.

و-المعالجات: اصطلاحا: العلاج: فقد أشار معجم Oxford إلى العلاج بأنه " ما يعالج به، دواء، ما يعالج به آفة معنوية آو الم معنوي، كل ما يعالج لمكافحة ذاك" [10].

إجرائيا: يذهب الباحث إلى أن المعالجات تلك الإجراءات والأساليب التي تستخدم للحفاظ على ما تبقى من آثار في الجبل الغربي بصفة عامة ومدينة الرياينة بصفة خاصة مثل: الحملات التوعوية بأهمية الآثار، وإجراء دراسات توثيقية حولها، وحمايتها بالقوانين المنظمة لعمل الآثار.

ز- مدينة الرياينة: تقع مدينة الرياينة جنوب غرب مدينة طرابلس بمسافة(142) كيلو متر فوق سطح الجبل الغربي ويحدها من الشمال مدينتي صبراته وصرمان ومن الجنوب الزنتان والمشاشية ومن الشرق الخلايفة ويفرن ومن الغرب الرجبان والزنتان[11].

وهي عبارة عن تجمع سكاني يبلغ عدد سكانها حوالي22.215 نسمة[12] في مجموعة بلدات ممتدة من الشرق إلى الغرب هي: أولاد علي- أولاد أبى حسين- أهل العين- الأفاضل- العقيبة– أولاد ريان- أولاد عبد العزيز، وهي تتميز بأنها أرض زراعية تكثر بها أشجار الزيتون، وأشجار التين، وأشجار النخيل، ووفيرة المياه، وتشير العديد من الدلائل الأثرية إلى أنها كانت من ضمن المزارع المحصنة أثناء العهد الروماني[13].

ح- أنموذجا: اصطلاحا: "النموذج: مثال الشيء، أنموذج، مثال نقتدي به، أو مثال يعمل عليه الشيء"[14].

إجرائيا: يستخدم الباحث مصطلح أنموذجا للدلالة على ما تتعرض له آثار الجبل الغربي من تخريب من خلال ذكر آثار مدينة الرياينة كمثال يمكن نقتدي به في معرفة نوع هذا التخريب ومسبباته والمعالجات التي يمكن الاستفادة منها في الحفاظ على ما تبقى من آثار الجبل الغربي.

الإطار النظري :

أولا- تخريب الآثار:

إن التطرق إلى ظاهرة التخريب للآثار التي يشهدها الجبل الغربي عامة ومدينة الرياينة بصفة خاصة، تحتم علينا تقديم الأدلة والبراهين على ذلك، ولذا سوف يتم ذكر

تلك الآثار التي كان الباحث قد وثقها عن طريق التصوير في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين (2000-2010) ومقارنتها بما أصبحت عليه في العقد والنيف التاليين(2011- 2024م)، وعلى اعتبار أننا أخذنا آثار مدينة الرياينة أنموذجا، فهي مدينة تحمل من عبق التاريخ الكثير، فعندما تسير مع المسالك والطرق تلاحظها ملساء ومرتبة حجارتها من الأقوام التي عاشت فيها قبلنا، وأديم الأرض- في الكثير من الواقع- متغير لونه من كثرة من دفن فيها، وأشجار الزيتون المعمرة العملاقة تذكرنا بأقوام غرسوها في أزمنة سابقة، أما صهاريج الماء ومنابع العيون المنتشرة في حواف الجبل تلاحظ خطوط الحبال لا تزال على الصخور، وكأن من أخذ الماء من هذا الصهريج أو تلك العين سيعود قريبا.

فهذه المدينة أينما ذهبت سوف تجد آثر من سبقنا عليها، ونتيجة لقلة الأبحاث والدراسات الأثرية والتاريخية بالمنطقة، ونقص المعلومات الدقيقة عن ماهية هذه الآثار؟، ولمن تعود؟ أهي بربرية(امازيغية) أو فينيقية، أو رومانية أو ندالية أو بيزنطية.. الخ؟، إلا بعض الاجتهادات الشخصية من البعض، والتي قد يكون فيها القليل من الصحة والكثير من الأخطاء، أما الروايات الشعبية تطلق على كل آثر يحتوي صخور في المنطقة بأنه روماني، ولذا ما يتم التطرق إليه في هذا البحث لا يجزم الباحث لمن تعود هذه الآثار؟ إلا آثار قصر الجزيرة حيث وجد في بعض المراجع بأنه روماني.

ولذلك تنوعت الآثار في مدينة الرياينة ويمكن الإشارة إلى تلك الآثار التي شملها التخريب وأنواع هذا التخريب كما يلي:

1 – ديماس (داموس) سهل الجفارة:

يقع هذا الديماس في منطقة سهل الجفارة ويبعد عن الطريق المعبد الرابط بين طرابلس ونالوت من الناحية الشمالية(6) كيلو متر(بعداد السيارة) وكان قد عثر على مجموعة من هذه المساكن محفورة في الأرض وتحتها ممرات وسراديب وتم نشرها على صفحات التواصل الاجتماعي كما في الصور الآتية:

صورة رقم1 صورة رقم 2 صورة رقم 3[15]:

وعند زيارتي لها للتحقق منها وجدتها ردمت تماماً ولم أجد إلا ديماس واحد كما في الصورة التالية:

صورة رقم4: ديماس سهل الجفارة (2024م)

نلاحظ من خلال الصورة بأن هذا الديماس مستطيل الشكل وقد تم حفره من أعلى حيث المنور الذي مساحته من الشرق إلى الغرب 4 متر ومن الشمال إلى الجنوب 3.30 متر وبعمق إلى الصخرة العلوية (العتبة فوق فتحة الداموس الداخلي المتجه غربا)3 متر ومن أعلى الحائط إلى حيث التراب الردم الحديث 3.70 متر وعملية الحفر لم تكتمل به؛ لأن من الناحية الشرقية لا تزال الأتربة المترسبة واضحة، ويوجد أسفل المنور ثلاث أبواب لدواميس أحدها في الجهة الغربية السالف الذكر ومدخله من صخور كبيرة في جانبية، وفتحت باب داموس في الجهة الشمالية لا تتضح فيها إلا

العتبة الفوقية المصقولة بمادة الجبس وكذلك فتحة باب في الجهة الغربية الجنوبية وان كانت صغيرة نوعا ما، ربما بسبب عدم اكتمال الحفر، ويلاحظ بأن سيول الأمطار بدأت تنخر في الزاوية الغربية بين الحائط الشمالي والغربي مما يسهم في سقوطه وانهياره بالكامل.

2- قصر أدر- يدر:

إن هذا الموقع يعود حسب ما هو متعارف عليه عند الأهالي بقصر يدر، والرواية الشعبية تقول بأنهم يعودون إلى قبائل يدر، أصولها ربما تلك القبائل التي لا تزال تحمل هذا الاسم في ليبيا وخاصة مصراتة، والبعض يقول أنهم قبائل في تونس كانت هنا وهاجرت بقصة أسطورية الجميع يرددها، ولكن حسب تتبعي في المراجع وجدت أن كلمة أدر تعني الصخر وكلمة إدرار تعني الجبل في اللغة بر- بر(الامازيغية) فربما هو يعني قصر الجبل أو الصخر هذا من ناحية الاسم، أما من ناحية الموقع والتحصين الموجود به ربما يكون مكان تخزين الغلال والمؤن وخاصة محصول الشعير؛ لأنه في تلك الفترة المادة الأساسية في حياة السكان والحرص الشديد على تخزينه والاستفادة منه وما ظهور قصور تخزين الشعير والمؤن مثل قصر الحاج إلا دليل على ذلك، وهذا الأسلوب منتشر في الجبل بصفة عامة، وما القصور التي دمرها العثمانيين سنة 1844م[16] اغلبها حجرات وغرف عرفت بالقصور في الجبل تستخدم لتخزين مادة الشعير وبعض المؤن الأخرى مثل التمر والتين وغيرها؛ ولكن الأساس هو مادة الشعير، في حين تذهب بعض الروايات بأنه قصر لحاكم قبائل يدر ويستدلون على ذلك بشدة التحصين في الجبل حيث تم شق الجبل من الناحية الغربية من مكانيين وكذلك حجرات الحراسة وشق الجبل الناحية الشرقية حافة الجبل وهو شق قليل الاتساع لا يستطيع أحد الولوج منه إلا بصعوبة وبالتالي استطيع أن أخمن بأن هذا القصر ما هو إلا غرف لتخزين الشعير لتلك الأقوام التي كانت تسكن المنطقة حيث توجد هذه الغرف متقاربة مستفيدة من التجويف الصخري مع وجود أحداها في الوسط مصقولة بمادة الجبس بعدة طبقات مما يعطي انطباع بأنها استخدمت كخزان مياه وأتمنى أن تظهر وثائق تدعم وجهة النظر هذه أو تدحضها قبل أن يتم تدمير هذا القصر سواء بالعوامل الطبيعية مثل الأمطار والرياح؛ لأن موقعه في أعلى قمة الجبل أو بسبب عبث العابثين.

والصورة التالية توضح ذلك:

الصورة رقم 5: تبين موقع الجبل (النت)

صورة رقم(6) منظر عام لقصر (2008م)

صورة رقم 7: ثلم الجبل

صورة رقم 8: مبني في أعلى القصر (2008م)

صورة رقم 9: أقواس (2008م)

صورة رقم10: تخريب الأقواس (2024م)

صورة 11: تخريب سقف حجرة كانت بها خطوط وزخارف (2024م)

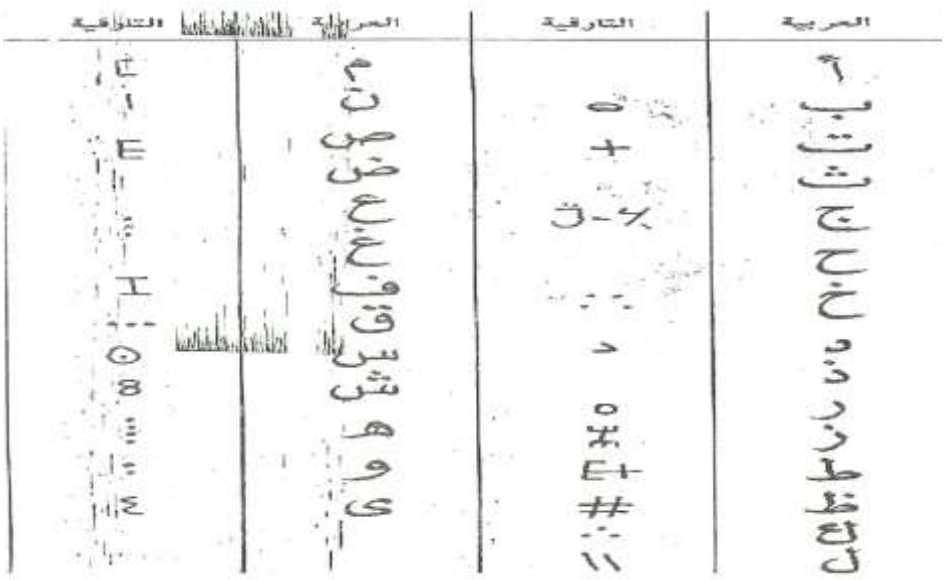

صورة رقم12: جدول يقارن بين الحروف العربية والتارقية[17]

3- قصر الجزيرة(الززيرة):

يقع في ظاهر مدينة الرياينة، على ملتقى الطرق القديمة، وتذهب بعض المراجع بأنه يعود إلى القرن الثالث الميلادي، وهو لا يزال بحالة جيدة يتكون من ثلاث حجرات، وسور من الأمام، ومدخله من ناحية الشرق.

إن هذا المبنى يتميز بموقعه الذي يشرف على الطرق القديمة حيث يمر بجواره الطريق الصاعدة من سهل الجفارة، بالإضافة إلى طرق الظاهر وخاصة الطريق المار من منطقة أور(العوينية) عبر التلال إلى عين الباقول ثم إلى الغرب وتذهب الروايات الشعبية بأن هناك طريق روماني مرصوف كان يمر من هذا القصر إلى منطقة مسيد خروف الأثرية ثم إلى هنشير أحميدة الجهة الغربية من بلدة أولاد علي، ومنه إلى الغرب، وعرف عند بعض المراجع بأنه " معبد ريفي تم تشييده في القرن الميلادي الثالث[18]، وقد وصفه البرغوثي في كتابه "التاريخ الليبي القديم[19]، بأنه "المعبد الريفي الوحيد(الباقي) بحالة جيدة نسبياً، وهو مبني من الحجر الكلسي الجيد، على شكل مستطيل في وسطه صالة يقوم على جانبيها جناحان مفتوحان من الأمام، وكان البناء جميعه مسقوفا بعوارض خشبية ثبتت أطرافها في فتحات مناسبة في أعلى الجدران، وأغلب الظن أنّ هذا السقف الخشبي كان مُغطًّى بطبقة من الطين، ولصالة هذا المعبد الرئيسة باب واحد في واجهتها الأمامية." والصور الآتية تبين هذا القصر(المعبد):

صورة رقم13: قصر الجزيرة الجهة الشمالية الشرقية

صورة رقم 14: الجهة الجنوبية

صورة رقم 15: الجهة الغربية

صورة رقم 16: الجهة الشمالية الشرقية

إن هذا البناء تم إحضار الحجارة له من حافة الجبل القريب منه من الجهة الشمالية والصور الآتية تبين أماكن قطع الصخور:

صورة رقم(17،18) توضح كيفية تخطيط الصخور لغرض القطع 2008م

ويتضح من خلال تتبع مسارات الخطوط لكيفية القطع: يتم اختيار الصخرة المناسبة بوضع خط محفور في الصخرة وتقسيمها إلى مربع أو مستطيل عن طريق حفر متجاورة ومتقاربة، ثم يتم بنفس الطريقة من أسفل الصخرة من جهة حافة الجبل بحفر حفر متقاربة حسب حجم الصخرة المطلوبة وبالطرق المستمر يتم خلع الصخرة تم تسحب إلى أعلى التبة وتشذب من الأطراف الزائدة وتنقل إلى مكان البناء وبعد وضعها في الجدار تصقل من الخارج بشكل يناسب المبنى أما من الداخل تترك كما هي.

بالرغم من أن المبنى يكاد يكون سليم بشكل كبير ولم يتعرض إلى التخريب الكثير إلا انه تعرض للنبش والتخريب في بعض الأجزاء وهي كالتالي:

1- تم تحطيم الإطار الأوسط من الجهة الشمالية بمطرقة كما في الصورة رقم(13) السابقة.

ومن المعلوم بأن بهذا الإطار خطوط ربما بها مدلول معين؛ لأن بالمبنى ثلاث إطارات الأول الأسفل وبه أربع خطوط والأوسط به أربعة خطوط والعلوي به خمسة خطوط عندما يتم جمعها تعطيني رقم(13)، هذه بالإضافة إلى عدد الصخور التي بين الإطارات من الأسفل إلى الإطار الأوسط أربعة صفوف ومن الإطار الأوسط إلى الإطار العلوي تسعة صفون وعندما نجمعها تعطينا الرقم(13)، ومن المعروف بأن هذا الرقم عنده مدلول في الديانة المسيحية.

2- نبش الغرف وخاصة الغرفة الوسطى حيث إخراج ترابها بشكل كبير الصورة(14)السابقة.

3- إسقاط بعض الصخور التي في الجزء العلوي من الجهة الغربية الصورة رقم(15) السابقة.

4- محاولة دفعه وتحطيمه بجرار زراعي من الجهة الجنوبية ولكن يظهر إن قوة الجرار لم تكن كافية لدفعه كما في الصورة الآتية:

صورة رقم19: تبين محاولة التخريب بواسطة جرار زراعي 2024م

5- نقش الأسماء على الصخور مما طمس العديد من الأحرف اللاتينية الموزعة على حجارة المبنى.

صورة رقم 20: توضح الخطوط والنقوش المرتجلة من قبل العابثين

6- أما المنطقة التي تعرضت للتخريب بشكل كبير هي المنطقة التي خلعت منها الصخور على حافة الجبل والصور الآتية تبين ذلك:

حيث خربت الصخرة التي عليها خطوط للقطع الصخر التي في الصورة رقم(17) التي صورت عام 2008 وأصبحت بهذا الشكل في عام 2024م:

صورة رقم 21 تبين تخريب الصخرة التي بها خطوط لقطع الصخر(2024م)

4: آثار البنية:

تقع أثار البنية في ظاهر مدينة الرياينة إلى الجنوب من الطريق المعبد غريان/ الزنتان، ومن خلال الاسم يتضح بأنها كانت بناء كبير وتذهب الرواية الشعبية إلى أنها كانت معسكر وهي مبنى كبير الحجم كما في الصورة الآتية:

صورة رقم 22: منظر عام للآثار البنية مأخوذة من الجهة الجنوبية الغربية(2008م)

ولعل وجود بعض الدلائل على هذا المبنى قد يكون فعلا(معسكر) حيث يوجد صور طويل نسبياً لا يزال الحائط الشمالي له عدة صفوف كما في الصورة التالية:

صورة رقم23: الصور الشمالي(2008م) صورة رقم 24: شكل مثلث في الصور(2008م)

صورة رقم 25: غرفة مقوسة في التبة الغربية من الآثار وكأنها غرفة حراسة(2008م)

التخريب في آثار البنية:

تكاد جميع أجزاء المبنى أصابها التخريب، ولكن يمكن الإشارة إلى بعضها التي تم تصويرها فقط:

1-نقل الصخور من الحائط الشمالي الصورة رقم(23)السابقة، ومنها الصخرة التي بها نقيشة المثلث الذي يرمز إلى ألأله تأنيت الصورة رقم(24)السابقة.

2- العبث بأرضيات الموقع واستخراج أعمدة من تحت التراب وتحطيمها كما في الصورة الآتية:

صورة رقم 26: جزء من عمود كان مدفون تحت الأرض وتم إخراجه وتحطيمه (2024م)

4- العبث بالغرفة الموجودة في التبة الغربية الصورة رقم(25) السابقة، حيث تم تحطيم الصخور والعبث بكل جوانبها كما في الصورة الآتية:

صورة رقم 27: تخريب الغرفة التي في التبنة الغربية(2024م)

5- تخريب المقابر والأضرحة:

سبق الإشارة إلى أن بأرض الرياينة أماكن متغير لون أديمها من كثرة من دفن فيها، ولكن أغلب هذه المقابر تعرضت للنبش من قبل الباحثين على المقتنيات القديمة والعملات المعدنية وأحيانا كنوز الذهب، حتى أصبح أي شخص ظهرت عليه نعمة الله

ببناء بيت كبير، أو اقتناء سيارة فاخرة أضحى حديث متداول بين الجميع؛ بأنه عثر على كنز، وبالتالي لو تتبعنا المقابر القديمة في المدينة نجدها كثيرة جداً فتكاد كل تبة توجد به أكوام من الحجارة تشير إلى قبر أو مجموعة قبور وما يهم هنا هو الأدلة والبراهين على هذا العبث والتخريب فمن خلال الصورة الآتية:

صورة رقم 28: نيش قبور في مقبرة الصحابة الكائنة بمدخل الرياينة الشرقي(2009م)

أما الأضرحة- حدث ولا حرج- حيث تم طمس كل معلم من معالم الأضرحة في مدينة الرياينة بحجج كثير اجتاحت المنطقة الغربية من ليبيا في بداية العقد الماضي (بعد 2011- 2015)، بالرغم من كل المبررات التي يسوقها أصحاب هذا التدمير والطمس، إلا أنها حرمتنا من تراث أثري حضاري متمثل في أشكال القباب والزخارف والمباني التي كانت سائدة في عهود أصحاب هذه الأضرحة، ويمكن الإشارة إلى ما حدث لضريح العالم الجليل محمد العالم البوسيفي صاحب الزاوية العلمية المعروفة بزاوية الباقول وأحياناً تتنسب له وتعرف بزاوية العالم كنموذج لما حدث لبقية الأضرحة:

يقع هذا الضريح في مقبرة لا تزال تستخدم إلى الآن، فوق تبة مرتفعة إلى الجنوب من الزاوية العلمية المعروفة باسم (زاوية العالم) نسبة إليه، واسمه: الشيخ محمد بن إمحمد بن عبدالنبي بن عبدالنبي بن عبدالقادر بن علي بن أمحمد بن عبدالنبي الأصفر[20] من قبيلة أولاد أبوسيف المعروفة، ويشير الهرامة في هامش بحثه المنشور في مجلة البحوث التاريخية، " بأنه تلقى تعليمه في تيجان بمطماطة في القطر التونسي"[21]، وقام بتأسيس الزاوية المشهورة باسمه فوق حافة الجبل ما بين الرياينة والخلائفة، وسنة تأسيسها تشير وثيقة متداولة بأنه تم سنة 1214هـ 1799م، وتوفى هذا العالم الجليل سنة 1227هـ الموافق 1812م أو 1813م، وتم بناء ضريح له ثم جدد فيما بعد حيث تعهد به ابنه ولمدة عشرين سنة[22]، فكان هذا الضريح يشتمل على

قبة مبنية من الحجارة ومادة الجبس وصخور ضخمة بها زخارف رومانية وباب من الخشب يفتح نحو الشرق تعلوه قبة مزخرفة بأسماء وخطوط وكتابات متنوعة حيث كان قبره في الزاوية الشمالية وقبر زوجته وابنه يتوسط الضريح[23] وتم هدم هذا الضريح في عام 2011م والصور التالية تبين الضريح قبل الهدم وما بعده:

صورة رقم29: الضريح قبل الهدم(2008) صورة رقم 30: الضريح بعد الهدم (2011م)

ثانيا- مسببات تخريب الآثار:

قد ورد في معجم المعاني الجامع بأن " مسبب، الجمع: مسببون، ومسببات، اسم فاعل من سبب، ما يؤدي إلى حدوث أمر أو إلى نتيجة"[24]، ولذا فإن تخريب أثار الجبل الغربي بصفة عامة والرياينة بصفة خاصة تعود إلى عدة مسببات هي:

1- الاستفادة من صخور وأعمدة الآثار:

لاشك أن الأهالي استفادوا من بقايا مساكن الأقوام السابقة، وما خلفوه من تراث مادي متنوع ويلاحظ ذلك بنقل الأعمدة والصخور لغرض البناء، فلا تستغرب إذا وجدت في احد حيطان لمنزل ما، زخرفة إفريز ورماني أو دست على عتبة مستوية من الصخور الأثرية كما في الصورة الآتية:

صورة رقم 31: تبين استخدام صخرة أثرية في تزيين حائط منزل (2008)

ويظهر ذلك واضح جلياً في نقل الأعمدة والبناء بها في أسقف المساجد، وقد ذكر زكي محمد حسن في كتابه(فنون الإسلام) "قد استعمل المسلمون الأعمدة في بنا المساجد وكانوا ينقلونها من الكنائس والمعابد والعمائر المخربة"[25] وهذا ما قام به أهالي مدينة الرياينة من بالاستفادة من الآثار القديمة بنقلها واستخدامها في بيوتهم أو في المساجد كما هو الحال في مسجد بلدة أولاد علي العتيق الذي تم بنائه عام 1217هـ(1802م) [26] كما توضحه الصورة الآتية:

صورة رقم 32: أعمدة رومانية بمسجد أولاد علي العتيق .

وكذلك تتردد عند الأهالي الكثير من الروايات حول كيفية الاستفادة من الصخور الأثرية بنقلها من أماكنها والبناء بها، أو وضعها كحواجز للمياه حول أشجارهم بعدة طرق منها تحطيمها بالمعدات الحديدية المتداولة لديهم أو بإشعال النيران حول الصخور ثم سكب المياه عليها فتتفتت إلى قطع صغيرة ونقلها للاستفادة منها في حياتهم المعاشة[27] أما في الوقت الراهن فأن توافر المعدات والآلات الضخمة القادرة على مسح المبنى الأثري بالكامل، زادت من التخريب بل والطمس بالكامل وهو ما حدث مع دواميس سهل الجفارة(الصور 1، 2، 3) السالفة الذكر وغيرها الكثير.

2- الملكية الأهلية للأراضي الموجودة بها الآثار:

إن ملكية الأرض الموجودة بها الآثار أو الأراضي التي تجاورها أكبر مشكلة مهددة لتخريب الآثار حيث يتعامل المواطن مع الآثار كأنها غريمة له، وخوفا من مصادرة أرضه من قبل الجهات المسؤولة عن الآثار، يقوم بالتعدي عليها سواء عن طريق الزحف على أرض الآثار وجعلها صغيرة جداً، أحيانا لا تتعدى حافة الصخور، كما في الوثيقة الآتية:

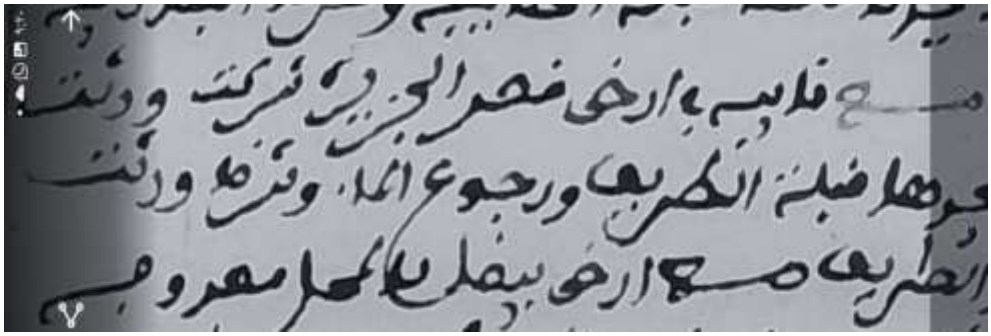

صورة رقم33: جزء من وثيقة توضح ملكية أحد المواطنين أرض آثار قصر الجزيرة لاحظ عبارة(... مع منابه في أرض قصر الجزيرة...)

وكذلك بحراثة الأراضي الموجودة بها الآثار وضمها إلى الملكيات الخاصة كما في الصور الآتية:

صورة رقم 34،35: تبين مصطبة(2008م)، (2024).

3- النظرة السلبية لبعض التيارات الدينية نحو الآثار:

بدأت تتسرب هذه التيارات إلى داخل ليبيا في أواخر القرن الماضي وبداية العقد الأول من القرن الحالي مستفيدة من الأرض الممهدة لهم، عن طريق إضعاف المذهب المالكي والمذهب الاباضي الموجودان في ليبيا، بإغلاق المدارس الدينية، ورفع شعار إسلام دون مذاهب[28]، بالإضافة إلى تأخير المجتمع على الدخول إلى تقنيات الأعلام الحديثة ووسائله الفضائية المتعددة، فوجدت فيه الكثير من الدول فرصة لزرع هذه التيارات عبر وسائل أعلامهم المختلفة، وصفحات التواصل الاجتماعي، وبداء البعض في تلقف تلك الفتاوى الدينية المتشددة مع الآثار، ولعل الإشارة إلى موقع الإسلام سؤال وجواب الذي ظهر 2003م[29] بالتأكيد القاطع بوجوب تكسير الأصنام، ويرى

بأن حجة الصحابة بعدم هدم الآثار في البلدان المفتوحة؛ لأنها كانت مطمورة تحت التراب أو هي ضخمة ولا يمتلكون القدرة على هدمها ..الخ.

في حين تطالعنا جريدة النبأ الكويتية في عام 2015[30] بمقال ضخم بعنوان(لماذا لم يحطم عمرو بن العاص"أبوالهول" والآثار الفرعونية) أوردت آراء لمجموعة من الشخصيات الاعتبارية في مجال الفتوى الدينية بمصر منهم: سالم عبدالجليل وكيل وزارة الأوقاف سابقا ومصطفى عبدالكريم آمين الفتوى في دار الإفتاء المصرية، الشيخ جمال قطب من علماء الأزهر ورئيس لجنة الإفتاء سابقاً وما ذكره سالم عبدالجليل " إن الصحابة عندما فتحوا مصر لم يحطموا أي تمثال وهي البلد المليئة بالتماثيل الفرعونية" ومما أكد عليه مصطفى عبدالكريم آمين الفتوى" إن الصحابة عندما فتحوا بلاد العالم ونشروا الدين الإسلامي وعلومه ونشروا العدالة بين البشر في شتى البلاد وكانت التماثيل موجودة بمعظم الدول التي فتحوها، وكانت الدولة الإسلامية في عز مجدها لم يهتم أحد منهم بفعل أي شيء للتماثيل مطلقاً ولم يروا فيها أي حرمات حتى يهدموها".

والجدير بالذكر الإشارة إلى ما أورده سعيد سالم فاندي في كتابه منطلقات قرآنية للحوار ونشرته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة[31] نقلا عن محمد عمارة قوله" ولحسن الحظ فإن النظرة الشاملة وأيضا الاستقرائية للأحاديث النبوية التي رويت في الصور والتماثيل، تؤكد بأن التحريم مرهون، ومشروط، ومعلل، بكون هذه الصور والتماثيل مظنة للعبادة، والإشراك بالله، وأن الأحاديث التي تنهي عن الصور والتماثيل، أنما كانت تعالج شؤون جماعة بشرية هي قرينة عهد بالشرك والوثنية، وحديثة عهد بالتوحيد الإسلامي"

وأشار فاندي[32] إلى الآثار بأنها" من عمل السابقين علينا وقد وجدناها في غير أماكن عباداتنا فلماذا نحطمها وهي ذات منافع مادية وتاريخية؟ إلا إذا كنا موغلين في التمسك الحرفي، وليس لدينا الثقة في نفوسنا أن نحترس من الشبهات؟ "

ومما يلاحظ في الوقت الرهان طغيان هذه التيارات في أغلب مناطق الجبل الغربي وبصفة خاصة في مدينة الرياينة حتى يكاد الحديث عن الآثار من المحرمات، وليس زيارة الآثار نفسها فطمست الأضرحة ونبشت القبور وخربت الآثار حتى كادت أن تدمر بالكامل ولله الأمر من قبل ومن بعد.

4-عدم الوعي بأهمية الموروث الثقافي الأثري كمورد اقتصادي:

إن الموروث الثقافي الأثري منتشر في مدينة الريانة سواء ذلك الموروث الذي يعود إلى الأمم السابقة أو الحديثة المتمثلة في الآثار المحلية وما بها من تنوع ثقافي في جميع المجالات مثل البلدات القديمة، والمساجد العتيقة، ومعاصر الزيتون، وعيون المياه وغيرها الكثير، ولكن عدم الوعي بأهميتها كمورد اقتصادي أسهم في تخريبها بكل الوسائل المتاحة، ولعل الإشارة إلى بعض الإحصائيات المتمثلة في موارد السياحة يعطينا مؤشر على أهمية هذا القطاع، حيث تعتبر السياحة من أكبر الظواهر الاقتصادية في القرن العشرين، فقد أورد تقرير للأمم المتحدة حول تنمية السياحة المستدامة[33] بأنه" بلغ عدد السياح لسنة 1999م (664) مليونا، بينما بلغت الإرادات من السياحة الدولية(455) بليون دولار، وخلال التسعينات من القرن الماضي ازداد عدد السياح الدوليين بمعدل قدره 4.2%" حتى أصبحت السياحة من أكبر الصناعات في العالم، فهي قطاع يجمع طائفة واسعة من الأنشطة الاقتصادية، وأشار التقرير السالف الذكر[34] إلى أنه " في عام 1998م تحققت نسبة 7.9% من قيمة صادرات سلع الخدمات على الصعيد العالمي من السياحة".

وتجدر الإشارة إلى أن مناطق الجبل الغربي مليئة بمقومات السياحة بمختلف أنواعها والصور التالية تبين بعض المناظر الطبيعية بمنطقة الريانة :

صورة رقم 36: منظر لسهل الجفارة مليئ بالضباب(شبورة مائية) حيث تتسلق الجبل نحو المدينة الصورة صباحا (2009)

صورة رقم 37: منظر لغروب الشمس فوق جبل الريانة وتظهر خطوط نقل البترول(2009م)

أما ما هو سائد في مدينة الريانة، ويكاد على كل المستويات المجتمعية بأن الحديث عن السياحة ما هو إلا الحفلات والموسيقى الصاخبة والرقص وغيرها من حفلات اللهو والمجون، في حين السياحة أكبر من ذلك بكثير، فهي سياحة متنوعة

ومتعددة منها: سياحة الجبال، وسياحة الآثار، وسياحة الزهور، وسياحة الطيور، وسياحة الفراشات، وسياحة المناخ، وسياحة طبقات الصخور، وسياحة التراث، وسياحة عيون المياه وغيرها الكثير، ولكن الفهم المحدود جعل التعامل مع الموروث الأثري بالمنطقة بعيد جداً عن حمايتها وترميمها والاستفادة منها كمورد اقتصادي للمدينة.

5- قلة المراكز البحثية المتخصصة والمتاحف في مجال التاريخ والآثار:

لاشك إن وجود المراكز البحثية تساعد المهتمين، ومن لهم علاقة بعلم التاريخ والآثار في بذل الجهود في إقامة بحوث ودراسات وتوثيق مواقع الآثار بالمنطقة، وهو ما لم يحدث إلى كتابة هذه الورقة البحثية البسيطة، وكذلك بالنسبة للمتاحف غير موجودة بصفة رسمية وأن وجدت بعض المحاولات الشخصية لبعض الأفراد باستخدام بيوتهم لجمع التراث الحضاري - جهودهم تشكر- إلا أنهم غير متخصصين في علم التاريخ والآثار، فمن المتعارف عليه بأن نقل الصخور الأثرية من أماكنها يفقدها قيمتها الأثرية وصورتها الأصلية التي كانت عليها ويصعب الأمر عن المتخصصين في إعادة ترميمها بصورة صحيحة، ولكن ما قاموا به في الوضع الراهن أفضل وسيلة للحفاظ على بعض القطع الأثرية، والصور الآتية توضح جهود أحد المهتمين بجمع الآثار[35]:

صورة رقم 38: أعمدة رومانية نقلت ووضعت في ديماس(داموس) (2019م)

وصورة رقم 39: توضح صخرة إفريز عليها زخارف رومانية: نلاحظ هذه الصخرة وضعت عموديا بدل من وضعها الصحيح أفقي(2019م)

6- توافر الآلات والأجهزة بسهولة عند المخربين:

كان في الماضي القريب يتم التخريب عن طرق آلات بسيطة مثل: العتلات الحديدية والفؤوس والأدوات اليدوية البسيطة، مما جعل التخريب لا يغير كثيراً في

ملامح المبنى الأثري الضخم، أما في الوقت الحاضر تعددت الوسائل والأدوات بداية بأجهزة الكشف عن المعادن في أعماق كبيرة تحت التراب وكذلك الآلات والمكينان الضخمة مثل: الجرارات والمعدات المتعددة الأغراض التي يمكنها قلب الآثار رأسا على عقب، والشاحنات الضخمة وما تمتلكه من معدات قادرة على نقل هذه الصخور بكل يسر وسهولة، أسهمت بدرجة كبيرة في تخريب آثار المنطقة.

7-عدم تطبيق القوانين وشروط التنقيب الصادرة بخصوص الآثار:

إن الإدارة العامة للآثار قد أصدرت قوانين منظمة للآثار وشروط خاصة يجب إتباعها من اجل الحصول على تصريح بإجراء حفائر في ليبيا وحسب القانون المعدل الصادر(1972م)[36] – لا يزال ساري تقريبا- يمكن الإشارة إلى بعض المواد التي لم تطبق في آثار منطقة الرياينة بصفة خاصة:

أ- مادة 39: للإدارة العامة أن تجري الحفائر الأثرية في أي مكان من الجمهورية ولها في سبيل ذلك حق الاستيلاء على الأراضي والعقارات المملوكة للأفراد والهيئات أو نزع ملكيتها وفق أحكام قانون نزع ملكية العقارات للمنفعة العامة.

ب- مادة 40: لا يجوز لأحد أن يقوم بحفائر إلا بترخيص من الإدارة حتى لو كان مالكا للمكان الأثري الذي تجري فيه الحفائر.

ج- مادة41: لا يرخص في القيام بالحفائر إلا لعلماء الآثار، والبعثات الأثرية التي تؤلفها الجمعيات والمعاهد والمؤسسات العلمية، وذلك بعد التحقق من مقدرتها وكفاءتها لإجراء الحفائر علميا وماليا.

إن عدم تطبيق هذه المواد سمح لكل من هب ودب بالقيام بالحفر والنبش والتخريب لمجمل المواقع الأثرية بمدينة الرياينة.

ثالثا- معالجات للحفاظ على ما تبقى من آثار:

انطلاقا من المسببات يمكن الإشارة إلى بعض المعالجات الممكنة للحفاظ على ما تبقى من آثار بمنطقة الرياينة كما يلي:

1- زيادة الوعي بأهمية الآثار وبإمكانية الاستفادة منها على مختلف المستويات مثل:

أ- التعليم: عن طريق استخدام هذه المباني الأثرية كجوانب تطبيقية للدروس التاريخية مثل الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية لأصحاب هذه الآثار والجغرافية كتخطيط وتصميم المباني الأثرية ونوع الحجارة وغيرها ووسائل نقل المياه وسبل العيش التي كانت عندهم، لذلك يتطلب إقامة المحاضرات التوعوية بأهمية الآثار والمحافظة عليها سواء للتلاميذ في المدارس، أو إقامة ورش العمل للمعلمين بصفة عامة، ومعلمي مواد

التاريخ والجغرافية بصفة خاصة؛ لأنهم أكثر العناصر ارتباطا بالآثار وحياة الأمم السابقة، وأعطى دوراً للكليات الجامعية والمراكز البحثية المتخصصة في إقامة البحوث والدراسات العلمية المتنوعة على الآثار بالمنطقة من حيث تحديد مواقعها ورسم الخرائط لها وإدخالها في منظومة المواقع السياحية التي يمكن الاستفادة منها على مستوى الدولة.

ب-السياحة: تعتبر السياحة في العقود الماضية والوقت الحالي من أكثر الموارد الاقتصادية انتعاشاً؛ لذلك بإمكان الجهات المسؤولة في المدينة استغلال هذه المواقع الأثرية أفضل استغلال وإقامة منشآت مرتبطة بالساحة كالفنادق، والمحلات التجارية المتنوعة، وتعيين العديد من الموظفين كمرشدين سياحيين بعد إدخالهم في مجال الآثار، والسياحة، وربما إرسالهم إلى بعض الدول لتعلم اللغات الأجنبية؛ ليكونوا خير دليل في هذا المجال، بالإضافة إلى إنشاء مقر لإذاعة محلية؛ لتعريف بإنجازات البلدية، والحياة الثقافية، والتراث العمراني المتنوع الموجود بها، وكذلك تفعيل دور المركز الثقافي؛ ليكون أكثر عملا، وجدية في استضافة الندوات، والورش والمحاضرات، والمؤتمرات بخصوص الآثار في المنطقة.

ج- التوعية الدينية: بالرغم من أن الوضع الراهن – ما هو موجود في الرياينة- ارتفاع في صوت محاربة الآثار بكل أشكالها وأنواعها واعتبارها أصنام هدمها يعتبر جهاد عند البعض، ولكن موقف الكثير من الأهالي، وخاصة أولئك الذين تقع الآثار في أراضيهم يحاولون بكل السبل المتاحة لديهم بعدم التعدي على الآثار التي بجوارهم، لذلك يجب التوعية بأهمية الآثار والتركيز على المواقف الإسلامية المتسامحة مع الآثار والتي ترى فيها أماكن يمكن زيارتها وأخذ العظة والموعظة منها: الله سبحانه وتعالي أورثنا أرضا كانوا بها وشيدوا هذه الصروح الضخمة فهلكوا هم وبقيت أثارهم للعظة والعبرة، وأكبر دليل للاستفادة منها في التعليم عندما يشرح معلم التاريخ درساً حول الحياة الدينية للأمم السابقة وكيف تعددت الآلهة وعبدوا الحجر والبشر، ويقوم بزيارة إلى آثار مذبح فنيفي ما يزال قائما ويشاهدوا كيف كانوا يضحون بالأطفال حرقا وهم أحياء[37] عندما تأتيهم الأمراض أو الصواعق أو الرياح العاصفة وحتى الهزيمة في الحرب، وكيف كان الطفل يعلق وتسيل دمائه في مجرى على صخرة معدة لذلك، ويعبئ في جرار وتلطخ به أعتاب البيوت والمساكن لاشك بأن هذه المعلم، وهولا التلاميذ سوف يرددون(الحمد لله على نعمة الإسلام) فهو درس لا يمحى

من ذاكرة التلاميذ لفترة طويلة، لذلك يفضل تشجيع أولئك الخطباء في المساجد الذين لديهم قراءة متسامحة تبرز الوسطية التي جاء بها الإسلام.

2- تنفيذ القوانين الصادر عن مصلحة الآثار:

لاشك أن قوانين الآثار المعتمدة في ليبيا تتماشي مع معطيات الآثار في مختلف دول العالم وقد لخص الفخراني معقبا على الشروط الواجب أتباعها عند الحصول على تصريح بإجراء حفائر في ليبيا الصادر عام 1972م عن الإدارة العامة للآثار[38] بقوله" لقد لاحظت أن القوانين الخاصة بالسماح بإجراء حفريات أثرية في الدول العربية المختلفة الأخرى وحتى الدول في أوربا وأمريكا لا تختلف كثيراً عن القوانين المذكورة والمعمول بها في ليبيا" لذا يجب تنفيذ هذه القوانين لحماية الآثار من جهة وتعويض المواطنين عن أملاكهم وأراضيهم من جهة ثانية فقد نصت المادة(45) حسب القانون المعدل للإدارة العامة للآثار الليبية في 1972"أذا اقتضي الأمر إجراء الحفائر في ملك أحد الأفراد فعلى المرخص له تحت إشراف الإدارة التراضي مع صاحبه على مبلغ التعويض، فإذا لم يتفقا على ذلك جاز للإدارة الاستيلاء مؤقتا على الأرض اللازمة، وإلزام المرخص له بأداء التعويضات المستحقة لذوي الشأن وفق أحكام القانون المذكور" [39]، من خلال المادة السابقة نلاحظ بأن المواطن يضمن له القانون حقه في التعويض على أملاكه وأرضه التي يتم مصادرتها لغرض إجراء التنقيب على الآثار فمن المعالجات المقترحة تنفيذ هذه المادة ويكون التعويض مجزي مادياً ومعنوياً بحيث أي مواطن يتمنى أن تكون الآثار في أرضه؛ لأنه سوف يتحصل على تعويض ربما يغير له مجرة حياته بالكامل وكذلك عندما يتم فتح متاحف بالمنطقة ويكون التعويض مجزي لكل مواطن يسلم مقتنياته التراثية والأثرية، لا شك سوف يسارع الجميع بفعل ذلك، وحقيقة الأمر يوجد الآن من سكان المنطقة من لديه مقتنيات، ولكن لا توجد مؤسسات تعتني بها حتى يتم تسليمها دون مقابل.

3- حماية الآثار:

أولا- على المستوى المحلي:

إن حماية الآثار ليست مختصة بجهة واحدة معينة وإنما الحماية تكون جماعية على أساس أن هذه الآثار والمواقع الأثرية وما يوجد بها من عبق التاريخ ودروس مستفادة ليست ملكا لجيل دون غيره، وليست ملكا لمنطقة دون غيرها، فهي آثار تحمل سمات الحضارات الإنسانية التي استوطنت هذه الأراضي؛ ولذا هذه الآثار ملكا للجميع، بل للحضارة الإنسانية بأسرها، فعندما يحدث الوعي المناسب بهذه الخصوصية وندرك

بأنه كان قبلنا أجيال من البشر مرت على هذه الآثار، وتركتها لنا، لماذا نحن لا نحافظ عليها للأجيال اللاحقة لنا؟ ومظاهر الحماية تكون بالاتي:

أ- على المستوى المواطن: إدراك المواطنين أن الآثار التي في أراضيهم يمكنهم الاستفادة منها اقتصاديا من خلال المحافظة عليها مثل: حراستها بمقابل، وكذلك الحصول على تعويضات جيدة من جهات الاختصاص عند مصادرتها منهم، وكذلك زيارتها من قبل ضيوفهم الذين يأتوا إلى بيوتهم.

ب- على مستوى المؤسسات المجتمعية: إن الوعي المجتمعي السائد في بعض مناطق الجبل الغربي جيد بحيث بدأت تظهر بين الحين والأخر جماعات محبي الآثار وهي جماعات تطوعية تقوم بحماية الآثار وتتبع المخربين بحيث لا تسمح بأحد بتخريب الآثار، وما يؤسف له أن هذه الجماعة لا توجد في الرياينة، لذلك من المعالجات أن يتم انضواء الخيرين من شباب وشيوخ للمحافظة على ما تبقى من آثار الرياينة؛ لان الهجمة شرسة مستغلة تراخي سلطة الدولة في العقد الأخير مما انعكس على تخريب الآثار.

ج-الحركة الكشافة: من المعروف على جماعة الكشافة في الرياينة لها ادوار بارزة في المحافظة على عيون المياه وإعادة جريانها في سواقيها كما كانت في عهودها الأولى؛ لذلك من المعالجات أن تقوم هذه الحركة الرائدة بدور في حماية الآثار عن طريق إقامة معسكراتها الكشفية بجوارها وتسجيل أي اختراق يحدث لها.

د-على مستوى المؤسسات التعليمية والثقافية: بالإمكان المعالجات أن تكون عن طريق المؤسسات التعليمية وذلك عن طريق الرحلات الطلابية إلى هذه المواقع وتوضيح لتلاميذ أهمية هذه الآثار وكيفية المحافظة عليها، بداية بكيفية التحرك داخل الآثار وعدم الجلوس أو القفز فوق الصخور وعدم تحريك ونقل الحجر الأثري من مكانه، وغيرها من الأساليب التي ترسخ في ذهن التلميذ وتساعد على المحافظة عن الآثار، أما الكليات الجامعية وخاصة أقسام التاريخ والآثار والجغرافية، بإمكانها توجيه طلبتها إلى إقامة بحوث ودراسات حول آثار المنطقة وتوثيقها ووضعها في المكتبات ليطلع عليها المهتمون بعلم الآثار، والمركز الثقافي بإمكانه استضافة أساتذة متخصصين في علم الآثار ورجال حماية الآثار باللقاء محاضرات توعوية حول الآثار وكيفية حمايتها.

هـ- على مستوى البلدية: لاشك بان إدارة البلدية بما لديها من عمل إداري يشمل: التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة، لها القدرة على حماية آثار المدينة من خلال ما تقوم يه من برامج متنوعة تتمثل في استضافة المتخصصين في علم الآثار والحماية

سواء من داخل البلاد أو من خارجها، والمشاركة في المحافل الدولية على مختلف المستويات لإبراز أثار المدينة والتعريف بها وإدخالها في الخطط التنموية على مستوى الدولة، بالحصول على مكاتب سياحة أو مكاتب حماية الآثار سواء على المستوى المدني أو المستوى الأمني، وتوظيف عناصر مدربة على حماية الآثار وما بها من خصوصية تستحق بذل الجهد والمال والوقت، من أجل التمكن فيها والتعاون مع الجهات الأمنية في الدولة بالقبض على المخربين، واستعادة الآثار المسروقة من المواقع الأثرية بالمدينة، والعمل على إنشاء متحف عام يضم الموروث الثقافي بصفة عامة والموروث الأثري بصفة خاصة.

ثانيا- على مستوى الدولة:

بالرغم من الظروف السياسية والأمنية التي تشهدها ليبيا في العقدين الآخرين إلا أن الحكومات المتعاقبة في هذه الفترة لم تدخر جهدا في تأسيس أجهزة أمنية لحماية الموروث الثقافي والأثري ومنها: جهاز الشرطة السياحية وحماية الآثار وفتح له فروع في الكثير من المناطق وأقام العديد من ورش العمل بهذا الخصوص ولعل الإشارة إلى ورشة العمل التي عقدت بتاريخ 10/ 9/ 2023م بمنطقة جودائم بالزاوية تحت شعار(مؤسسات الدولة الليبية ودورها في الحفاظ على الممتلكات الثقافية) حيث أوصت "بضرورة الاهتمام بالمواقع الأثرية والمدن القديمة والمباني التاريخية والمتاحف المحلية ودعمها للحفاظ على الممتلكات الثقافية"[40] إلا دليل على الحرص على هذا الموروث الثقافي الأثري في ليبيا، أما بخصوص الرياينة موضوع هذه الورقة البحثية فقد استضافت البلدية رئيس هيئة السياحة في زيارة رسمية 2018م وتجول في بعض المواقع الأثرية وفي عام 2020 تكررت زيارة رئيس هيئة السياحة ومن ضمن الوفد شخصيات من الشرطة السياحية وحماية الآثار وشملت الزيارة المواقع الأثرية المهمة في المدينة، وشاهدوا بأم أعينهم حالتها، وما آلت إليه من تخريب، تم الاتفاق – حسب علمي- على فتح مكتب الشرطة السياحية وحماية الآثار بالمدينة، وألان نحن في نهاية عام 2024م ولم يحدث ذلك لظروف هم أدرى بها، ولكن تأخير ذلك جاء على حساب الآثار وزيادة سرعة التخريب، على أمل أن تتكاتف الجهود على حماية ما تبقي من أثار بمدينة الرياينة.

الخاتمة:

إن ظاهرة تخريب الموروث الثقافي الأثري في الجبل الغربي بصفة عامة، ومدينة الرياينة بصفة خاصة، واضحة جلية لكل من له قليل من الاهتمام بالآثار، لذلك تعددت

ظاهرة هذا التخريب بنقل الأعمدة والاستفادة منها في المساجد العتيقة، والصخور المنقوشة كزينة في البيوت، وبالعبث والتخريب في الأرضيات وما يوجد بها من لقي مدفونة تحت التراب، أو بتوسعة أراضي الملكية الأهلية على حساب مواقع المباني الأثرية، أسهم في هذه الظاهرة، بالإضافة إلى التيار الديني المتشدد مع الآثار، الذي عمل بكل الوسائل واستغل مجمل الفتاوي الدينية المحاربة للآثار، ضد كل ما بقي من آثر للأمم السابقة- بحجج كثير الجميع يعلمها- مما أدى إلى إحجام المواطنين عن حماية الآثار التي تقع بالقرب من أماكن سكناهم، فازدادت ظاهرة التخريب بكافة أشكالها ووسائلها، واستخدمت مختلف الآلات والتقنيات المتطورة في هذا التخريب.

ولعلاج هذه الظاهرة أو إنقاذ ما تبقى من أثار مدينة الرياينة لا يتم ذلك إلا من خلال الوعي بأهمية الآثار كمورد اقتصادي يمكن الاستفادة منه في الوقت الحاضر، أو في المستقبل وإدراك أهميته بالنسبة للحضارة الإنسانية قاطبة، وقيام مؤسسات المجتمع المدني بدورها المأمول منها بالمحافظة على الآثار مثل: جماعة محبي الآثار، والحركة الكشفية، والجمعيات الأهلية المختلفة، وكذلك على مستولى البلدية عن طريق الدعم والتواصل مع الجهات المعنية بالآثار في الدولة بتوثيقها والاهتمام بها من خلال برامج يتم التخطيط لها على أعلى المستويات، وأملي أن يحدث ذلك قريبا قبل أن تصبح آثار مدينة الرياينة إذا استمر التخريب بهذه الوتيرة أثرا بعد عين.

الهوامـــــش:

1-فوزي عبد الرحمن الفخراني: الرائد في فن التنقيب عن الآثار،بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، 1978م، ص7.

2- الزروق سالم عون: دراسات حول بلدة أولاد علي بالجبل الغربي/ تاريخية .اجتماعية. أثرية، الجزء الرابع/ الدراسة الخامسة: أولاد علي والآثار قصر أدر– يدر، دراسة وصفية مقارنة، طرابلس، طباعة، شركة العالمية الأولى للطباعة والدعاية والإعلان، 2021م، ص 13.

3- الزروق سالم عون: الملامح الحضارية بمدينة الرياينة(الجبل الغربي/ نفوسة) بحوث أكاديمية، طرابلس: دار تالة للطباعة والنشر، 2023م، ص، ص 13، 14.

4-مجدي صلاح طه المهدي: البحث العلمي بين دلالات الخبراء وممارسات الباحثين، الإسكندرية ، دار الجادعة الجديدة ، 2007، ص 285.

5-التعريفات المتوفرة Oxford Languages https://www.google.com/search

6- لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب أسيا http;//www.sunescwa.org

7-محمد المبروك المهدي: جغرافية ليبيا البشرية، طرابلس، المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، د:ت. ص.ص31،30.

8- قد لاحظ ذلك العديد من المؤلفين فالطاهر الزاوي في كتابه معجم البلدان الليبية والصادر في طرابلس عن دار مكتبة النور سنة 1968م صفحة (97) ذكر بأنه " كلما مرت ببلاد سميت باسمها

إلي مدينة الخمس.." ويذكر: يسري الجوهري في كتابه الوطن العربي دراسة في الجغرافية التاريخية والإقليمية والصادر في الإسكندرية عن دار مؤسسة شباب الجامعة سنة 1968م صفحة (66) بأن هذا الجبل " يمتد على طول الساحل لمسافة (500) كيلو متر ويعرف بأسماء خاصة مثل جبل نفوسة، جبل غريان..إلخ " وقد سبقهما الحسن الوزاني المشهور (بليون الإفريقي) عند زيارته إلى الأراضي الليبية سنة (1518م) "بان قسمه إلي عدة أقسام منها جبال يفرن ونفوسة، جبال غريان وذلك بعناوين رئيسية في كتابه انظر: الحسن بن محمد الوزان القاسي (ليون الإفريقي): وصف أفريقيا، ترجمة: محمد حجي، وآخرون، الطبعة: الثانية (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983م) ص.ص 105، 106

9- معنى كلمة سبب متاح على الرابط http;//ar. wikpedia.org

10- التعريفات المتوفرة Oxford Languages
https://www.google.com/search

11- ينظر كتابنا: أعلام لهم آثر، الجزء الأول، أعلام لهم اثر بمدينة الرياينة –الجبل الغربي- نفوسة، طرابلس: تالة للطباعة والنشر، 2024م، ص 12.

12-إحصائية رسمية مأخوذة من مصلحة الأحوال المدنية بالرياينة بتاريخ 11/ 1/ 2023م.

13- ينظر: بحثنا المنشور بعنوان" بعض من الشواهد الأثرية بمدينة الرياينة " مجلة الأصالة، العدد: الرابع، يوليو، 2022م، ص– ص 219- 239.

14- معنى كلمة أنموذجا: معجم المعاني الجامع، https://www.almaany.com

15- الصور(1، 2، 3) أخذت من صفحة ليبيا فقط بعنوان " اكتشاف اثري بالرياينة" 14/ أغسطس 2024م.

16- محمد أمحمد الطوير: ثورة الشيخ غومة المحودي على العثمانيين ليبيا 1835- 1858م الطبعة: الثانية، طرابلس منشورات دار الفرجاني، 1995م ص- ص 497- 504.

17- محمد سعيد القشاط: الطرارق عرب الصحراء الكبرى، الطبعة: الثانية، طرابلس، مركز دراسات وبحاث الصحراء، 1989م، ص33.

18- فاطمة محمد سليمان المعلول: مدينة يفرن، دراسة في جغرافية المدن، القاهرة، د: ن، 2006م، ص 43.

19-عبداللطيف محمود البرغوثي: التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، بنغازي، الجامعة الليبية، 1971م ص619.

20- أخذ الاسم من المرحوم حسن عبدالله عمر البوسيفي بتاريخ (15/ 5/ 2023م)

21- عبد الحميد عبد الله الهرامة " الحياة العلمية بالجبل الغربي في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين" مجلة البحوث التاريخية، السنة، السادسة، العدد: الأول، يناير 1984، ص109.

22- للمزيد ينظر كتابنا: أعلام لهم أثر، مرجع سابق، ص- ص 18- 26.

23- للمزيد حول الضريح يمكن الاستفادة من كتبنا بالخصوص وهي:
(دراسات حول بلدة أولاد علي بالجبل الغربي– الدراسة الثانية/ الجزء الثاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية،طرابلس: شركة أسيل للطباعة والإعلان، 2019م،ص- ص 96- 98، وكتاب أعلام لهم أثر/ الجزء الأول أعلام لهم أثر ، مرجع سابق، ص– ص 18- 23).

24- معنى كلمة مسببات معجم المعاني الجامع almaany.com

25- زكي محمد حسن: فنون الإسلام، الجزء: الثالث، بيروت، دار الرائد العربي، 1981م، ص 152.

26- للمزيد حول المسجد العتيق ببلدة أولاد علي، ينظر: كتابنا: المساجد العتيقة ببلدة أولاد علي في الرياينة (الجبل الغربي/ نفوسة)،طرابلس، تالة للطباعة والنشر، 2023م.
27- حدثني التائب عاشور أمجمد قشوط مواليد 1918 بأنه ووالده كانا يقومان بتحطيم الصخور الأثرية من منطقة هنشير أحميدة القريب من مسكنهم ووضعها حول أشجار الزيتون لحجز المياه وعندما وجدوا بعض الصخور كبيرة الحجم استأجروا أشاخص يمتهنون هذه الحرفة(تحطيم الصخور) للقيام بالعمل(الحديث كان في عام 2008م) و حدثني التائب أمحمد أحمد بن سالم مواليد 1936م بأنه ووالده كانا يقومان بجلب نبات الحلفاء(القديم) ووضعه حول الصخور التي بآثار شنيقير، وإشعال النيران بها ثم سكب المياه عليها وتحطيمها وحملها لبناء محوطة الداموس بمنطقة الثنايا(الحديث كان في علم 2020م).
28- ينظر: محمد فتحي بكوش" نحو إسلام القران الكريم" الحلقة الثانية"(القران الكريم والتطور) مجلة رسالة الجهاد، تصدر عن: جمعية الدعوة الإسلامية، العدد: 50، السنة الخامسة، يناير 1987م ص- ص 74- 77، ففي الصفحة 77 كتب تحت عنوان جانبي(قران واحد بلا مذاهب) " وقد أخذ القران الكريم طريقه إلى التطبيق في الجماهيرية الإسلامية دون مذاهب...".
29- موقع: الإسلام سؤال وجواب، المشرف العام: محمد صالح المنجد " وجوب تكسير الأصنام تاريخ النشر 22/ 4/ 2003م islamga.lnfo/ar/answers/20894
30- جريدة النباء الكويتية "لماذا لم يحطم عمرو بن العاص(لبوالهول) والآثار الفرعونية؟" تاريخ النشر 2/ 3/ 2015م alanba.com/last/540614
31- سعيد سالم فاندي: منطلقات قرآنية للحوار، الرباط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 2011م ص، ص 95، 96.
32- نفس المرجع السابق، ص 96.
33- الأمم المتحدة:" تقرير حول تنمية السياحة المستدامة "، المجلس الاقتصادي والاجتماعي، 2001م، ص 2.
34- نفس المرجع السابق، ص 2.
35- للمزيد انظر: كتابنا: الملامح الحضارية بمدينة الرياينة(الجبل الغربي/ نفوسة) بحوث أكاديمية، طرابلس تالة للطباعة والنشر، 2023م.
36- فوزي عبدالرحمن الفخراني: مرجع سابق، ص96.
37- هـ. س. كاوبر: مرتفع الإلهات الجمال " استكشاف الهياكل الثلاثية والمواقع المغليثية " ترجمة: أنيس وكي حسن، طرابلس، مكتبة الفرجاني، د: ت، ص ، ص 157، 158.
38- فوزي عبدالرحمن الفخراني: مرجع سابق، ص 101.
39- نفس المرجع السابق، ص، ص 97، 98.
40- وكالة الأنباء الليبية: الأخبار العامة – الأخبار المحلية: جهاز الشرطة السياحية وحماية الآثار ينظم ورشة عمل بعنوان(مؤسسات الدولة الليبية ودورها في الحفاظ على الممتلكات العامة) نشر بتاريخ 10/ 9/ 2023م lana.ly.index.php?